فجر الهدى والإيمان

صحابيات حول الرسول صلى الله عليه وسلم

سَوْدة بنتُ زمعة

أم المؤمنين رضي الله عنها

المؤمنةُ المهاجرةُ

إعداد : زهير مصطفى يازجي

مراجعة : يوسف عساني

جميع الحقوق محفوظة لدار القلم العربي بحلب ولايجوز إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه
أو طباعته ونسخه أو تسجيله إلا بإذن مكتوب من الناشر .

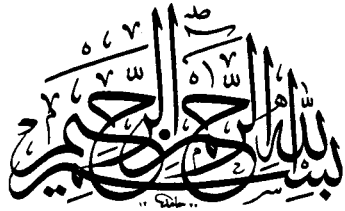

مَنْشُورَاتُ
دَارِ الْقَلَمِ الْعَرَبِيِّ بِحَلَبَ

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

عنوان الدار

سورية - حلب - خلف الفندق السياحي

شارع هدى الشعراوي

هاتف ٢١٣١٢٩ - ص.ب: ٧٨ - تلكس: ٣٣١٦٩٢ ريفكو

سودة بنت زمعة

مقدمة

كان لموت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها الأثر البالغ في نفس رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إذْ خيّم عليه الحزن والهم ، وبات يعاني مرارة الغربة والوحشة ، إذ كانت خديجة رضي الله عنها تملأ حياته ، حبورا وسرورا ، وتنسيه همومه وأحزانه ، وتبعد عنه أذى المشركين ومكائدهم ، وهي إلى جانب ذلك أم الأولاد ، التي سهرت على رعايتهم وتنشئتهم تنشئة صالحة .

وهي التي رافقته في مسيرة الإيمان ونشر الدعوة الإسلامية ، ألا تستحق هذه الطاهرة العفيفة أن تُذْكر ويخلد ذكرها .

ألا تستحقُّ بعض الحزن لفراقها ؟ ولكنَّ حزن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم طال حتى خشي أصحابه عليه . وباتوا تراودهم أنفسهم في أن يَعْرضوا على النبي ، صلى الله عليه وسلم الزواج ، ولكن مَنْ هذا الذي سيجرؤ في مفاتحة النبي المكلوم(١) .

---

(١) المكلوم : المجروح لفراق خديجة .

وأي امرأة يمكن أن تحل محل أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ؟ . بل وأي امرأة يمكن أن تضارع(١) أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها ؟ .

زواجها

وتشجعت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون ، خادمة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، المهاجرةُ الهجرةَ الأولى إلى الحبشة مع زوجها عثمان ، ودخلت على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بينما كان في بيته يذكر الأيام الخوالي ، أيام السعادة والهناءة ، وأنعِمْ(٢) بها من أيام .

وتقدمت إليه مظهرة الشجاعة والجرأة ، تقول له :

– أما يكفيك يارسول الله حزنا وهما ؟ والله لقد تفطرت قلوبنا عليك أسىً وحزنا ، إلى متى تتجرع الأحزان والآهات ؟ أما آن(٣) الأوان أن تلتفتَ إلى نفسك ، فعسى الله أن يبدلك بزوجة صالحة تنسيك بعض ماأنت فيه ، وتردُّك إلينا وإلى قومك ، الذين هم بأمسِّ الحاجة إليك .

---

(١) تضارع : تشابه .

(٢) أنعِمْ : فعل ماض لإنشاء المدح ، جاء بصيغة الأمر .

(٣) آن : حان .

وينتبه إليها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ويلتفت إليها قائلا بصوت حزين كأنهُ الحشرجةُ :

– " ومن بعد خديجة ياخولة ؟!! " .

وتجد خولة أن الفرصة سانحة ، فهي لم تفعل مافعلت إلا لخشيتها على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم فتقول :

– أتريدها بِكراً يارسول الله أم ثَيِباً(١) .

فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

– " فمنِ البِكرُ ؟ " .

فقالت خولة :

– ابنة الصدّيق أحبُّ خلق الله إليك ، عائشة .

ثم قال النبي ، صلى الله عليه وسلم :

– " ومن الثيبُ ؟ " .

قالت خولة :

– إنها السيدة سودة بنت زمعة ، المؤمنة ، التقية ، المهاجرة .

فقال النبي ، صلى الله عليه وسلم :

– " اذهبي فاذكريها عليّ " .

---

(١) ثيب : أرملة . التي توفي زوجها عنها .

وتذهب خولة بنت حكيم مسرعة فرحة مسرورة ، فها هو نبي الإنسانية قد وافق على الزواج من هذه المرأة المسنّة غيرِ ذات الجمالِ والبدينةِ ، لتبشر سودة بنت زمعة برغبة النبي ، صلى الله عليه وسلم بالزواج منها .

﴿ غبطتها بالزواج من النبي ﴾

وكانت فرحة سودة لاتوصف ، فهي ستصبح زوجا لأحب خلق الله إليه ، بل لأحبهم إليها أيضا ، وسرعان ماوافقت ، وتم الزواج الميمون ، وخرج النبي ، صلى الله عليه وسلم من دائرة الحزن والهم ، لينفرد بسودة مدة ثلاث سنوات أو أكثر .

وكانت خولة بنت حكيم قد دخلت على سودة بنت زمعة فقالت :

– ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة ؟ .

قالت سودة رضي الله عنها :

– وماذاك ؟ قالت خولة :

– أرسلني رسول الله ، صلى الله عليه وسلم أخطبك إليه .

فقالت سودة رضي الله عنها :

– وددْتُ والله . ادخلي على أبي فاذكري ذلك له .

فدخلت عليه فحيته بتحية الجاهلية ، فقال : من هذه ؟ .

فقالت : خولة بنت حكيم .

قال : فما شأنك ؟

قالت خولة : أرسلني محمد بن عبد الله أخطب إليه سودة .

فقال : كفء كريم ، فماذا تقول صاحبتك ؟ .

قالت خولة بنت حكيم : تُحب ذلك .

وعندما جاء أخوها عبدُ بن زمعة ، جعل يحثي(١) على رأسه التراب، ولكنه بعد أن أسلم قال : لعمري إني لسفيهٌ يوم أحثي على رأسي التراب .

وكانت سودة تعرف أن الرسول عليه الصلاة والسلام ، لم يتزوجها إلا رأفة بها ورحمة لها وجبران خاطر .

وأنَّ الرسول الذي لم يستطع أن يخرج عن كونه بشرا ، كان حليما رؤوفا يحزن لما يصيب أصحابه من هموم وأحزان ، لذا فإن النبي هو الذي تزوجها ، لاالرجل الذي يهوى مايهواه الرجال في النساء .

وعلى الرغم من ذلك فقد كانت سودة سعيدة بهذا الزواج ، هانئة البال ، مطمئنة القلب ، تدعو آناء الليل وأطراف النهار أن يديمه ، لالشيء ، إلا لكي تحظى هذه المرأة الفاضلة بشرف الزواج من النبي الأعظم صلوات الله عليه ، وأن تكون أما للمؤمنين .

---

(١) يحثي : يرش رأسه بالتراب ، رافضا زواج أخته من النبي .

وكانت سودة بحقٍ جديرة بهذا الشرف العظيم ، وبهذا اللقب الشريف ، وهي المرأة المؤمنة ، التقية ، المهاجرة إلى أرض الحبشة هربا بدينها ، مع زوجها وابن عمها السكران بنُ عمرو . ورغم معاناتها مع زوجها في غربتها ، ورغم الضغوط الهائلة التي تعرضت لها مع زوجها لردّها عن الإسلام إلى الكفر والضلال ، إلا أنها كانت مؤمنة حقَّ الإيمان ، واثقة من نصر الله عز وجل .

آلامها

وعندما لملمت حوائجها لتعود إلى أرض الوطن ، ولتنهي رحلة العذاب والشقاء ولتكحل ناظريها برؤية الأهل والأحبة ، كانت فاجعتها كبيرة . إِذْ انتقل زوجها إلى الرفيق الأعلى ، لتعاني محنة جديدة ، محنة الترمل بالإضافة إلى محنة الاغتراب . وتأثّر النبي ، صلى الله عليه وسلم بما حلَّ بسودة المهاجرة المترملة أيما تأثر ، فقد قضت شبابها وصباها في مكة تعاني من عذاب المشركين ، وها هي تهاجر بدِينِها إلى الحبشة لتعود منها ، وقد ارتسمت همومُ السنين على جبينها . ولكن أحزانها هذه سرعان مازالت عندما تزوجت من النبي الكريم ، صلى الله عليه وسلم ، الذي مدَّ إليها يد الرحمة ، يعينها في شيخوختها ، ويخفف عنها من عذابها ، ويهوّن عليها ماذاقته من مرارة وشقاء .

نعمْ ، هذا هو نبي الإسلام والإنسانية ، الذي بُعِث بشيرا وهاديا ، رؤوفا ورحيما ، صلى الله عليه وسلم . ولم يكن مزواجا ، كما يحلو لبعض المستشرقين أعداء الإسلام أن يتهموه ، فهو عليه الصلاة والسلام لم يتزوج بكراً سوى عائشة رضي الله عنها . بل هو لم يكثر من الزواج إلا بعد أن بلغ من العمر مبلغا يبعده عن طيش الشباب ، وشهوات الشباب .

نعمْ ، هذا هو نبي الرحمة والإنسانية ، الذي وافق على طلب وتوسل سودة ، التي علمت أنه عليه الصلاة والسلام يريدُ تسريحها(١) سراحاً جميلا ، إشفاقا عليها من وضع ، شعر أنه يحرجُ قلبها ، إذ كان عليه الصلاة والسلام لايستكثر(٢) منها ، وخاصة بعد أن أسَنّت(٣) .

﴿ خوفها من الطلاق ﴾

وجزعت سودة بنت زمعة ، وخافت أن يفارقها النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وقد فعل ، فجلست رضي الله عنها في طريقه ببيت عائشة رضي الله عنها ، فلما رأته قالت :

– أنشدك بالذي أنزل عليك كتابه ، واصطفاك على خلقه ، لِمَ طلقتني؟

---

(١) تسريحها : تطليقها .

(٢) لايستكثر : لايزورها في بيتها .

(٣) أسنّت : كبرت وشاخت .

أَلِموجِدةٍ وجدتها فيّ ؟ .

قال صلى ا لله عليه وسلم : " لا " .

قالت سودة بنت زمعة :

– فإني أنشدك بمثل الأولى ، أما راجعتني وقد كبرت ، ولاحاجة لي في الرجال ، ولكني أحبُّ أن أبعث في نسائك يوم القيامة .

فراجعها النبي ، صلى ا لله عليه وسلم ، ثم قالت سودة رضي ا لله عنها :

– فإني جعلت يومي وليلتي لعائشة ، حبّة رسول ا لله ، صلى ا لله عليه وسلم .

إِذْ كان رسول ا لله ، صلى ا لله عليه وسلم يقسم بين نسائه ، ثم يعدل ، ثم يقول عليه الصلاة والسلام :

– " اللهم هذا فعلي فيما أملُك ، فلا تلمني فيما تملُك ولاأملُك " .

وكان عليه الصلاة والسلام ، قد خطب سودة بنت زمعة وتزوجها، وخطب أيضا عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي ا لله عنهما، وكانت بنت ست سنين و لم يتزوجها إلا بعد ذلك ، حين قدِمَ المدينة المنورة مهاجرا .

ومكثت سودة رضي ا لله عنها بعد أن راجعها النبي ، صلى ا لله عليه وسلم إشفاقا عليها ورحمة بها ، في بيت النبوة راضية مرضية ، سعيدة هانئة ، أما للمؤمنين ، وزوجا له في الجنة ، بعد أن شكرت ا لله عز وجل الذي أيدها وأنزل في ذلك قرآنا يتلى :

﴿ وإنِ امرأةٌ خافَتْ من بَعْلها(١) نُشُوزاً أو إعراضاً فلاجُناحَ(٢) عليهما أَنْ يُصلِحا بينهما صُلحاً ، والصُّلحُ خيرٌ ﴾(٣) . صدق الله العظيم .

﴿ إخوتها ﴾

وكان لسودة بنت زمعة رضي الله عنها ، ثلاثة أخوة :

الأول ، هو عبدُ بن زمعة ، الذي أسلم يوم الفتح .

والثاني ، مالك بن زمعة ، وكان ممن هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية ، وقدِم مع جعفر بن أبي الطالب .

والثالث ، هو عبد الرحمن بن زمعة ، الذي اختُصِم(٤) في نسبه ، فقضى به رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ابناً لزمعة .

قال سعد بن أبي وقاص :

– إن أخاه عتبة أوصاه إذا قدمت أمُّ عبد الرحمن أمةُ أبيه ، فأمسك عبد الرحمن فإنه ابني ، وقضى النبي ، صلى الله عليه وسلم ببقاء نسب عبد الرحمن لزمعة ، لأن أمه كانت في فراش زمعة .

---

(١) زوجها .

(٢) إثم .

(٣) سورة النساء آية /١٢٨/ .

(٤) اُختلِفَ .

وقال النبي ، صلى الله عليه وسلم :

– " الولد للفراش وللعاهر الحجر(١) " ، ثم قال لسودة :

– " احتجبي منه ياسودة " لما رأى فيه النبي ، صلى الله عليه وسلم من شبهٍ بعتبة .

وكانت سودة بنت زمعة رضي الله عنها قبل أن تتزوج النبي عليه الصلاة والسلام ، رأت في المنام كأنّ النبي ، صلى الله عليه وسلم أقبل يمشي حتى وطئ(٢) على عنقها ، فأخبرتْ زوجها فقال :

– وأبيك ، لئن صدقَتْ رؤياك ، لأموتَنَّ ، وليتزوجنك رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقالت رضي الله عنها :

– حجراً وستراً .

ثم رأت في المنام ليلة أخرى أنَّ قمراً انقضّ عليها من السماء وهي مضطجعةٌ فأخبرت زوجها فقال :

– وأبيك ، لئن صدقَتْ رؤياك ، لم ألبث إلا يسيرا حتى أموت ، وتتزوجين من بعدي ، فاشتكى زوجها من يومه ذلك ، فلم يلبث إلا قليلا حتى مات .

---

(١) أي أن الولد لصاحب الفراش من السيد أو الزوج ، وللزاني الخيبة والحرمان .

(٢) وطئ : داس .

صلاحها وزهدها

وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها تحب سودة بنت زمعة ، لأنها كانت رضي الله عنها صالحة زاهدة . تقول السيدة عائشة رضي الله عنها :

– مارأيت امرأة أحب أن أكون في ملاحتها وزهدها وصلاحها من سودة .

وظلت عائشة رضي الله عنها تذكرها وتذكر صنيعها ، وتحفظ لها وفاءها ، وتبادلها الوفاء ، وكانت سودة رضي الله عنها يسرها ويسعدها أن ترى النبي ، صلى الله عليه وسلم يضحك من مشيتها ، إذْ كانت ثقيلة الجسم ، وأن يأنس عليه الصلاة والسلام لخفة روحها ، إذْ قالت له مرة :

– صليْتُ خلفَك الليلة يارسول الله ، فركعت بي حتى أمسكْتُ بأنفي مخافة أن يقطرَ الدم .

فتبسم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم من قولها .

وكانت سودة بنت زمعة رضي الله عنها بارةً برسول الله ، صلى الله عليه وسلم قبل وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى ، هي وزينب بنت جحش رضي الله عنها ، إذ حجت بعده كلُّ نسائه ماعدا سودة وزينب.

وكان عليه الصلاة والسلام قد حجَّ بنسائه عام حجة الوداع ثم قال :

– " هذه الحجةُ ثم ظهور الحصر " .

فكانت سودة وزينب رضي الله عنها تقولان :

– لاتحركنا دابةٌ بعد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

وقالت سودة رضي الله عنها :

– حججْتُ واعتمرت كما أمرني الله عز وجل بقوله تعالى :

﴿ يانساءَ النبي لستُنَّ كأحدٍ من النساءِ إن اتقيتُنَّ فلا تخضعْنَ بالقول فيطمع الذي في قلبه مرضٌ وقُلْنَ قولاً معروفاً ، وقَرْنَ في بيوتكنّ ولاتَبرَّجْنَ تبرجَ الجاهليةِ الأولى ... ﴾(١) . صدق الله العظيم .

وكانت سودة بنت زمعة رضي الله عنها ، ثقيلة ثبطة ، فاستأذنت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أن تصلي الصبح بمنىً قائلة :

– يارسول الله ، إني امرأة كبيرة السن ، بطيئة الخطو ، ثقيلة الأرداف ، فهل تأذن لي أن أصلي الصبح بمنى قبل مجيء الناس ؟

فأذن لها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

---

(١) سورة الأحزاب الآية /٣٢ و ٣٣/ .

كرمها

وكانت سودة رضي الله عنها كريمة سخية ، تجود بمالها على الفقراء والمساكين ، وتقنع بالقليل من حطام الدنيا . وفي هذا يروى أنّ عمرَ بن الخطاب ، رضي الله عنه ، بعث إلى سودة ، رضي الله عنها بغرارةٍ من دراهم ، فقالت سودة ، رضي الله عنها :

– ماهذه الغِرارةُ(١) وما فيها ؟ .

فقالوا لها :

– إن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه بعث إليك بدراهمَ .

فقالت رضي الله عنها :

– في الغرارة مثل التمر . ونادت جارية لها قائلة :

– ياجارية ، بلّغيني القنْعَ(٢) ، ثم فرقتها .

وقد روت سودة ، رضي الله عنها أحاديث عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقد قالت سودة رضي الله عنها :

– جاء رجل إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم فقال :

– إنّ أبي شيخ كبير لايستطيع أن يحجَّ ، أَأَحُجَّ عنه ؟ .

---

(١) الغِرارة : صُرَّة فيها دراهم .

(٢) القنع : القناعة .

فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

– " أرأَيْتَ لو كان على أبيك دينٌ ، فقضيته عنه قُبِلَ منك ؟ " .

فقال الرجل : نعم يارسول الله .

فقال عليه الصلاة والسلام :

– " فالله أرحم . حُجَّ عن أبيك " .

وفاتها

هذه هي زوجة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم بعد خديجة ، الزوجة الوفية البارة ، التي آثرت أن تلازم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم حتى تحظى بشرف مرافقته عليه الصلاة والسلام في الجنة .

ومالبثت سودة رضي الله عنها أن توفيت في المدينة ، في شهر شوال ، سنة أربع وخمسين ، في خلافة معاوية بن أبي سفيان .

رحمها الله ورضي عنها

آمـــين .